عبدٌ صار أخاً

الرسالة إلى فيلمون

لويس صليب

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المحتويات

تمهيد

المقدمة

أقسام الرسالة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تمهيد

الرسالة إلى فيلمون رسالة صغيرة تتكون من خمسة وعشرين آية لكنها تتكلم عن حقائق عظيمة جداً. وفيها نرى ثلاث شخصيات بارزة:

١ــ بولس الشيخ الأسير

٢ــ فيلمون الأخ المحبوب

٣ــ أنسيمس العبد الهارب يعود لسيده فيلمون, لكن في كيان جديد.

وفي هذه الرسالة نجد بولس يأخذ مركز الوسيط بين أنسيمس وفيلمون وذلك على أساس المحبة التي تربط الرسول بفيلمون. لقد صرخ أيوب مرة قائلاً ((ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا)) (أي٩:٣٣) ولكن شكراً لله لأنه قد جاء هذا المصالح ((لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية من أجل الجميع)) (١تي ٢:٥،٦) وأساس هذه الوساطة هو أن المسيح أخذ على الصليب مكان الإنسان الخاطىء أمام الله وصنع الصلح بدم صليبه ((وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكـــر في

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه)) (كو ١:٢٢،٢١)

وفي قيوده على الصليب أنشأ خليقة جديدة كما يقول الرسول عن أنسيمس ((الذي ولدته في قيودي))

يقول أيضاً ((أنا بولس كتبت بيدي. أنا أوفي)) (ع١٩) كلمتان صغيرتان ولكنهما مستند قوي. وما كان لبولس الأسير في السجن أن يسدد شيئاً إلا بقلبه الكبير ومحبته الفائضة ولكن مخلصنا المجيد وفّى كل شيء بالنيابة عنا على الصليب وردَّ لله المجد الذي سلبه الإنسان ((رددت الذي لم أخطفه)) (مز ٦٩:٤) ووفَّى كل مطاليب العدل الإلهي نيابة عن الإنسان الخاطىء.

إن عمل الصليب قد أكمل كل ما فيه رضى الله والتكفير عن خطايا الإنسان. فالإنسان المديون ليس له ما يوفي عن نفسه (لو ٧:٤٢) لكن المسيح هو الذي وفَّى. حتى استطاع أولئك الذين كانت تؤرقهم مطاليب الناموس الغير منفذة أن يهتفوا قائلين ((إذا محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب)) (كو٢:١٤)

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذه الرسالة كما أشرنا أنفاً هي أقصر رسائل العهد الجديد وتتضمن قصة صغيرة جداً ولكنها تصور في الواقع أسمى مظاهر نعمة الله الغنية ومحبته من نحو الإنسان الساقط المستعبد للخطيئة والشيطان. كما أنها تبرز المحبة التي تخدم المؤمن في كل مراحل حياته إلى أن تصل به إلى المجد.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

زمن كتابة الرسالة ومكانها

كُتبت هذه الرسالة في نفس وقت كتابة الرسالتين إلى أفسس وكولوسي بدليل أن تيخيكس وأنسيمس اللذان حملا هاتين الرسالتين حملا هذه الرسالة أيضاً (قابل كو٤:٧،٩ مع أف٦:٢١،٢٢) وكذا إشارته في آخر الرسالة إلى احتمال زيارته القريبة له (ع٢٢)

*****

لمن كتبت هذه الرسالة؟

لا نعلم شيئاً عن فيلمون الموجهة إليه الرسالة سوى ما ورد فيها بشأنه ولو أننا نستنتج من مقارنة هذه الرسالة برسالة كولوسي أنه كان يسكن في مدينة كولوسي أو بالقرب منها بدليل قوله في تلك الرسالة عن أنسيمس عبد فيلمون أنه منهم (كو٤:٩) هكذا إشارته إلى أرخبس الذي خاطبه في هذه الرسالة مع فيلمون (كو٤:١٧)

وفيلمون هذا آمن بواسطة كرازة الرسول بولس كما يتضح من (ع١٩) من الرسالة والمرجح أنه إلتقى به في أفسس في المدة التي قضاها الرسول

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هناك من سنة ٥٤_٥٧ ميلادية (أع٢٠:٣١) حيث يقال عن هذه الزيارة أن جميع الساكنين في آسيا من يهود ويونانيين سمعوا كلمة الرب بواسطة كرازة بولس (أع١٩:١٠) وكولوسي هذه هي من ضمن مقاطعة فريجية بآسيا الصغرى. ونستنتج من القرينة أن أبفية المذكورة في (ع٢) هي إمرأة فيلمون وأن أرخبس المذكور بعدها هو ابنه ويبدوا أيضاً أن فيلمون كان ثرياً بدليل أن له عبيد وله بيت كبير يتسع لاجتماع القديسين فيه (ع٢) وأنه كان مضيفاً للغرباء (ع٦و٧) وأن الرسول كتب إليه أن يعد له منزلاً في بيته (ع٢٢) وليس فقط أن فيلمون كان غنياً في أمور الزمان ولكن كان غنياً في الأيمان (يع٢:٥) وكذا غنياً في أعمال صالحة (١تي٦:١٨) حتى أن بولس وثقَ في استقامته واستعداده للعفو عن المسيء إليه كما وخاطبه كأخ عامل معه وشريك له.

*****

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الغرض من كتابة الرسالة

كتبت هذه الرسالة بخصوص أنسيمس العبد الهارب الذي آمن بعد ذلك بواسطة خدمة الرسول بولس فأصبح إذ ذاك ((أفضل من عبد)) أخاً محبوباً لذا أعاده بولس إلى سيده فيلمون ((الذي رددته فأقبله الذي هو أحشائي))

وفي هذه الرسالة نرى صورة عجيبة وجذابة للنعمة والحق اللذين في المسيح إذ أن النعمة تتباين وتختلف اختلافاً كلياً عن الناموس وتعطي صورة جميلة للإنجيل وقوته الفعالة التي تعمل في إنسان حقير وأثيم كأنسيمس ولا يكتب بولس هذه الرسالة كصاحب سلطان رسولي بل ((بولس الشيخ أسير يسوع المسيح)) ويخاطب فيلمون باعتباره المحبوب والعامل معه. لم يطلب الرسول تحرير أنسيمس بل طلب قبوله بالنعمة كأخ ((إن كنت تحسبني شريكاً فاقبله نظيري))

والرسالة بصفة عامة هي عبارة عن استعطاف واحتجاج لطيف والصعوبات أو العقبات تعالج بكل رقة وذوق سليم فإذا كان العبد قد اختلس شيئاً فبولس وعد أن يفي ولكنه يذكر فيلمون بأنه مديون له بنفسه, ومن ذا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الذي يرتاب في أن فيلمون قد قبل أنسيمس بفرح وأنه أعتقه, الأمر الذي لاشك ينشيء فرحاً وتعزية للجميع, ولكن ذلك لم يكن على حساب حقوق بشرية ولا مجرد إحسان طبيعي بل لإظهار ((إحسان الله)) ونعمة المسيح وشركة الإيمان الفعالة أنه شبيه بالشريط الاسمانجوني الأزرق المزركش على الجبة التي كان يلبسها الاسرائيلي التقي (مت٢٢:١٢ مع عدد١٥:٣٨) والذي يشير إلى زينة السلوك السماوي فوق الأرض والنعمة التي تسود كل علاقتنا, هذه النعمة التي تهيمن على كل معاملات الله معنا إلى الأبد.

ربما يستغرب البعض بأن هذه الرسالة تأخذ مكانها بين الأسفار الموحى بها ولكنها في الواقع ((نافعة)) لأنه لمدة ١٥٠٠ سنة كان المسيحيون يقتنون العبيد ولأنهم تركوا المحجة الأولى لم يفكروا في أمر هدايتهم إلى المسيح كمخلص, بعكس الروح التي كانت لدى الرسول المغبوط الذي كان فرحه عظيماً بتجديد عبد مثل أنسيمس مشاركاً بذلك السماء في أفراحها بخاطيء واحد يتوب.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المقدمة

توجد طريقتان لتقديم الحق الإلهي إلينا, الأولى تعليمية والثانية عملية. على أنه ليس الغرض هنا هو عقد مقارنة بين القيمة النسبية لكل من الطريقتين فقد سَّر الله أن يستخدم كليهما وقد وُجدَ بصفة عامة أنه حيث الاستهانة وعدم الاكتراث بالحقائق التعليمية نتيجة تمسك البعض بهذه الحقائق تمسكاً رسمياً بالأنفصال عن شخص ربنا يسوع المسيح الذي هو درس الله الأعظم. فهناك التزعزع وعدم الثبات غير أنه أمر ملذ للغاية أن يشاهد التقدم عن شخص قبل الحق تعليماً ثم بدأ يقرنه بالرب يسوع في نفسه فهو من الجهة الواحدة لا ينكر الحق بل يعترف به اعترافاً كاملاً وفي أدق صوره التعليمية ومن الجهة الأخرى قد أصبح الحق عنده شيئاً حياً.فمحبة الله واختياره ودعوته الفعالة وتعيينه الأزلي للتبني وكمال النعمة وثبات مركز القديسين الأبدي كل هذه الحقائق العجيبة لم تعد عنده فيما بعد مجموعة حقائق مجردة بل قد صارت مجسمة في نفسه بفضل معرفته لصفات الله التي تجلت في الفداء وبهذه الكيفية تحررت النفس من الجدل والمناقشة حول مثل هذه الحقائق فهي تعرفها تماماً لأنها تعرف الله وهذه المعرفة بالله هي التي تعطي السلام الحقيقي. ولن تكون هناك ثقة حقيقية ما لم تعرف

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

النفس أن محبة الله قد جعلتنا حتى ونحن في هذا العالم كالمسيح تماماً أمامه في السماء. هذا هو ثمر الفداء الذي في المسيح يسوع لكل من يؤمن.

ولما كانت معرفة الله بهذه الكيفية هي الحياة (يو١٧:٣) فإننا نجد النفس تلقائياً تتصرف داخلاً وخارجاً بمقتضى نفس التعاليم التي سبق أن قبلتها كحق. ولكنها الآن قد صارت جزءاً من حياتها وكيانها حتى وإن كانت لا تذكرها بالشفاه. فإنها تعترف بها عملياً وباستمرار. والواقع أنه من الأمور العجيبة أن ندرك كم من الأمور الإلهية تثبتت بالضرورة في أعماق النفس بمجرد معرفتها لله. في نسبته كالآب فكم من مؤمن حديث عرف الله بهذه الصفة بالإيمان بالمسيح يسوع (١يو٢:١٣) نجده وقد جمع في نفسه جميع عناصر المبادىء المسيحية حتى ولو تعثر حيناً بسبب الطريقة الرسمية النظامية التي تم بها تلقينه تعاليم النعمة. فكمولود أصبح يحيا ويتحرك ويوجد بالله. وبدلاً من التساؤل عن الله صار يهنأ بالعيشة مع الله. وعندما تكون هذه هي الحالة فهناك سهولة جميلة في المسيحية فهي ليست فيما بعد مجهوداً مرهقاً ونيراً ثقيلاً بل حياة طبيعية ميسورة ولذيذة. والحق إننا لنجد نعمة الله الحقيقية في الوصية كما نجدها في الوعد لأن الوصية تفترض الفداء ووجود علاقة بالله. وهنا نقول أن الوصية تفترض الفداء ووجود علاقة بالله. وهنا نقول أن الوصية في الحقيقية لا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

توافق إلا شخصاً مولوداً من الله ويتمتع بسكنى الروح القدس. فمثلاً القول ((كونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل)) (مت٥:٤٨) يفترض قبل كل شيء وجود معرفة يقينية بالفداء الكامل بمعنى أن النفس استراحت تماماً فيما يتعلق بحالتها أمام الله على أساس كفارة المسيح. قبل أن نحاول تنفيذ هذه الوصية وإنها في القيام بتنفيذها إنما نتعلم المزيد عن عرض وطول وعمق وعلو محبة الله. وبهذه الكيفية تتعرف عملياً بنعمة الله في كل خطوة نخطوها في سبيل الطاعة لعمل مشيئته.

ونحن نرى الآن أن كثيراً من أجزاء الكتاب المقدس قد صارت مهملة أو متروكة من الكثيرين لظنهم أنها لا تتناول الحق التعليمي. بينما هي في الواقع استعراض لنفس هذا الحق بطريقة عملية في حياة الأشخاص.

فالرسالة إلى فيلمون موضوع تأملنا هي أحد هذه الأجزاء. فهي ليست رسالة تعليمية بالمعنى العام, ومع ذلك فلم يكن في الإمكان أن يكتبها إلا شخص قد احتضنت نفسه تعليم المسيح كله- حتى صارت حياته وأفكاره تفيض بهذا التعليم وتعبر عنه. وإنه لمن دواعي اغتباطنا وشكرنا العظيم لإلهنا المنعم. لأنه اختار بحكمته العالية مثل هذه الأساليب المؤثرة. لتوصيل حقه المبارك إلينا وغرسه في أعماق نفوسنا. وإننا نتضرع إليه تعالى أن يمنحنا ونحن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نحاول أن نتتبع فكر المسيح في الرسول بولس وهو يكتب لفيلمون أن تكون لنا شركة معه في هذا الفكر السامي العجيب.

*****

إننا في الرب يسوع شخصياً. نجد كل الحق مجسماً وحياً فهو الحق. وفي الرسول نجد النتيجة المباركة للشركة مع الحق وتقديم فكر المسيح هذا هو نصيبنا وامتيازنا ((لنا فكر المسيح)) وهذا ما يجعلنا نعرف كيف يجب أن نتصرف لنرضي الله في كل شيء. فدستور السلوك المسيحي ليس هو ((أقول لعبدي أذهب فيذهب)) بدون معرفة سبب الوصية والأمر, بل هو القدرة على معرفة لياقة الوصية ذاتها كشيء مناسب للحالة التي نحن فيها. ولهذا فإن الطاعة المسيحية ليست هي طاعة عمياء بل طاعة كاملة مستنيرة أو كما عبر عنها واحد (ليست طاعة أعمى يقود أعمى ولا حتى مبصر يقود أعمى بل مبصر يقود مبصراً). وهذا هو الحال حتى في ذات الأمور التي تتعارض على خط مستقيم مع كل ما هو طبيعي. إن الله بكل حقه وسلطانه كصاحب الأمر والنهي يأمرنا كعبيد أن نقوم بعمل مشيئته ولكنه في غنى نعمته يعاملنا كأصدقاء وكأحباء. إذ يخبرنا ويرينا ما هو مسر أمامه. حتى إذا عرفنا تكون لنا شركة معه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

في تنفيذ مشيئته بالطاعة كأولاده الأمر الذي ما كنا نستطيع عمله. لـــو أنـــه عاملنا كعبيد... والآن نتقدم لتوضيح هذه الأمور من رسالة بولس إلى فيلمون.

*****

أقسام الرسالة

تنقسم الرسالة إلى خمسة أقسام وهي:

(١) الافتتاحية: وبها تحياته وامنيات الرسول (ع١ـ٣)

(٢) بيان مودة بولس المسيحية وصداقته لفيلمون وشكره لله لأجل ما سمعه عن إيمان فيلمون ومحبته (ع٤ـ٧)

(٣) ألتماسه من فيلمون العفو عن أنسيمس ومدحه له (ع٨ـ٢١)

(٤) طلبه إلى فيلمون أن يعد له منزلاً (ع٢٢)

(٥) تسليمات رفقاء بولس والختام (ع٢٣ـ٢٥)

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

*****

"بولس أسير يسوع المسيح وتيموثاوس الأخ إلى فيلمون المحبوب. والعامل معنا"، (ع١)

تبدأ الرسالة بتحية مختصرة ولكنها مع اختصارها تحمل في طياتها عناصر موضوع الرسالة كلها حيث نرى بولس أسير يسوع المسيح وتيموثاوس أخ وفيلمون محبوب وعامل مع الرسول وهؤلاء جميعاً شركاء. وذكرهم بالاسماء يعبر عن الشركة القائمة بينهم ومع أنهم جماعة ليس بينهم أية علاقة طبيعية ولا شيء مشترك بين الواحد والآخر غرباء عن بعضهم البعض من حيث الوطن والعادات واللغة فقد صار لهم الآن باتحادهم مع المسيح علاقة مشتركة وعواطف مشتركة, خدمة مشتركة جهاد مشترك. وهنا قوة الصليب العجيبة فهي ليست فقط تمنح النفس السلام مع الله إذ تعلن محبته للخاطىء المتجلية في الدينونة والواقعة على الخطيئة التي من شأنها عرقلة الشركة معه بل أنها تأتي بأناس من مختلف المشارب والصفات المتناقضة وشتى ظروف الحياة المتعارضة وتربطهم معاً في وحدة مقدسة. كم كانت نفس الرسول وهو يكتب هذه الافتتاحية مليئة بهذا الحق المقدس أنه لا يعرف أحداً إلا يسوع وإياه مصلوباً. لقد رأى في الصليب نهاية تلك الفروق التي تفصل بين الناس وتجعلهم طبقات

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

كما رأى في القيامة وحدة جديدة برأس جديد خليقة جديدة. هـذا التعلـيم الصحيح من تعاليم الصليب نحن في شديد الحاجة لمعرفته وهذا ما أراد الرسول أن يُعرفه لفيلمون أراده أن يعرف أن نفس تلك القوة التي قتلت العـداوة بـين بولس اليهودي وفيلمون الأممي جاعلة إياهما إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً. نفس القوة التي جعلتهما يشتركان معاً في عمل واحد كافية وكفيلة بأن تـصنع سلاماً بين فيلمون وعبده أنسيمس وأن تمنحهما وحدة في الغرض والمـصالح. وحدة في العواطف والخدمة لم يعرفاها من قبل. ولسنا في حاجة للقول أن هذا هو تعليم المسيح الصحيح الوارد في (أف٢:١٣_٢٢) فهناك نرى الحق الإلهـي معبراً عنه من هذه الناحية في أوسع مداه وأدق معناه وهو أنه قـد أدخـل إلى المشهد قوة كان من شأنها نقض حتى حائط السياج المتوسط الـذي أقامـه الله نفسه بين اليهود والأمم وجعل الأثنين رغم ما بينهما من تناقض متحدين ليس بصيرورة اليهودي أممياً ولا الأممي يهودياً بل بصيرورة الأثنين إنساناً جديـداً في المسيح يسوع.

*****

يقول الرسول عن نفسه (**بولس أسير يسوع المسيح**) على أنه وهو أسير وقف مرة وقفة ما كان أعجبها أمام فيلكس الوالي حتى ارتعب فـيلكس

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فكان الحُر بحسب الظاهر أسيراً وكان الأسير في حقيقة الأمر حراً طليقاً. ولحكمة لم يشر بولس هنا إلى رسوليته كما فعل في معظم الرسائل لأنه كما ذكرنا لم يكتب هذه الرسالة كصاحب سلطان على فيلمون – ولو أنه بلا شك كتب هذه الرسالة كما في رسائله بالوحي باعتباره رسولاً بل فضل أن يذكر لقب أسير ليحرك عواطف قلب فيلمون ويجعله يستجيب لطلبه على أن كلمة ((أسير)) تقودنا إلى مشهد في غاية الروعة. مشهد السيد الرب الذي نسمعه يقول بروح النبوة ((أقترب إلى نفسي فكها)) (مز٦٩:١٨) وفي هذا المزمور نجد الرب طبقاً للمقاصد الأزلية ذبيحة أثم حيث يقول ((ذنوبي عنك لم تخف)) فإنه وهو السيد البار كان على الصليب نائباً عنا وحاملاً في جسده كل خطايانا وبذلك صرنا مقبولين فيه قبولاً كاملاً.....(وتيموثاوس الأخ)

هذا دليل على أن تيموثاوس كان مع الرسول حين كتابته الرسالة (أنظر كو١:١) وكان معتاداً أن يذكر اسماء رفقاؤه في مقدمة رسائله (٢كو١:١, في١:١, ١تس١:١, ٢تس١:١). لم يكن تيموثاوس شريكاً لبولس كأسير ولكن هنا تأتي حلقة الوصل ((الأخ)) (أو أخونا) فهذه الكلمة تربط فيلمون ببولس وتيموثاوس. وإذا كان رب الكل لا يستحي بأن يدعونا إخوة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فكم هو لذيذ لنفس عبده أن يضع نفسه في هـــذا المـــستوى الواحـــد الـــذي هوشريك فيه مع جميع القديسين.

ويستلفت النظرما يخلعه بولس على فيلمون من ألقاب إذ يـــدعوه الأخ والمحبوب. والعامل. فالذين قبلوا المسيح غُفرت خطاياهم وتبرروا كمـــا أنهـــم بالولادة من فوق قد صاروا إخوة بعضهم لبعض ليـــست الأخـــوة الطبيعيـــة الجسدية التي نرى صورتها في قايين الذي قتل أخاه هابيل (تك٤) بـــل أخـــوة روحية ما اسماها والمؤمنون كلهم محبوبون وكلهم عاملون على قياس ما أعطى الله لكل واحد.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(١)

(وإلى أبفية المحبوبة وأرخبس المتجند معنا،

والكنيسة التي في بيتك) ع٢

أبفية المحبوبة يُرجح أنها زوجة فيلمون وأرخبس يُرجح أنه ابن فيلمون الذي يصفه بالقول ((المتجند

(١) وردت في حاشية الإنجيل المشوهد وكذا في ترجمات أخرى كلمة (الأخت) بدلاً من المحبوبة معنا)) والتجند للرب شرف وامتياز لكل مؤمن وهو يشمل النساء أيضاً كم نقرأ في العهد القديم عن المتجندات اللواتي تجندن عند باب خيمة الأجتماع (خر٣٨:٨) ومن قوله المتجندات اللواتي تجندن أو المتجند معنا وما كتبه أيضاً عنه للأخوة في كلوسي ((قولو لأرخبس أنظر إلى الخدمة التي قبلتها في الرب لكي تتمها)) (كو٤:١٧) نفهم أنه كانت له خدمة بين القديسين في كولوسي. ليتنا نفهم أن الرب الذي وضع حياته لأجلنا يستحق أن نكرس له الحياة لتنفيذ مشيئته بحسب الخطة التي رسمها لنا.

*****

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ونلاحظ هذا القول (**الكنيسة التي في بيتكَ**) الأمر الذي يتمشى تماماً مع الموضوع كله. فالكنيسة هي عائلة الله وما أبرك أن تكون هناك عائلة صغيرة مشابهة لعائلة الله الكبرى فها هو فيلمون وأرخبس اللذان كانا مرة بعيدين عن الله والآن بدم المسيح صارا قريبين وقائمين أمام الله فيه قد صارا من ضمن عائلة الله التي ليس بين أفرادها أمام الله فرق, وفي المسيح ليس عبد ولا حر ولهذا ما أنسب ذكر الكنيسة التي في البيت هنا. والأمر الذي يقود إلى فيلمون لأن يرى في الحال بركة قبول أنسيمس في المحبة الأخوية واعتباره عضواً في عائلة الله وبالتالي في الكنيسة التي في بيته...

(**والكنيسة التي في بيتكَ**) هي جماعة المؤمنين في تلك المنطقة الذين كانوا يجتمعون معاً في بيت فيلمون حول المسيح كمركز للسجود والعبادة وكسر الخبز (أنظر أع١٢:١٢, ٩:١٩, رو١٦:٥) وبالمثل كان أخوة مدينة لاودكية يجتمعون في بيت نمفاس (كو٤:١٥) وواضح أنه حتى القرن الثالث الميلادي لم تكن هناك مباني خاصة لاجتماع المؤمنين معاً. بل كان المؤمنون يمارسون العبادة في البيوت وكما وعد الرب ((لأنه حيث اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم)) (مت١٨:٢٠).

(نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يسوع المسيح) ع٣

حسب عادته يطلب الرسول النعمة والسلام لفيلمون... والكنيسة التي في بيته, فالنعمة هي إظهار محبة الله لنا مجاناً بيسوع المسيح فأظهرها **أولاً** حين كنا خطاة بعيدين عنه وأعداء له إذ أحياناً وقربنا إليه **وثانياً** يظهرها لنا كمؤمنين وقديسين لأننا في النعمة مقيمين ولا غنى لنا عنها دائماً. وكلما سلكنا بحسب النعمة حصلنا على السلام في قلوبنا.

النعمة والسلام يقترنان معاً باعتبار أن الله الآب مصدراً لكليهما والرب يسوع المسيح واسطة وصولهما إلينا ونلاحظ أنه في الرسائل الموجهة إلى أفراد كتيموثاوس وتيطس وكيرية المختارة يضيف الرسولان بولس ويوحنا كلمة ((رحمة)) لأن المؤمن الفرد يحتاج إلى الرحمة بصفة خاصة (عب١٦:٤) وتعجز الألفاظ عن التعبير عن مقدار البركة المتضمنة في نعمة الله وفي السلام الممنوح منه.

ثم ما أجمل هذا التعبير ((الله)) أبينا والرب يسوع المسيح فالله هو أبونا وطلباتنا تقدم إلى كل من الأقنومين بحسب ما تقضي الحالة التي نصلي لأجلها. لأن بعض طلباتنا تتعلق بنسبتنا إلى الآب والبعض إلى الرب يسوع المسيح.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ومما يدل على نمونا روحياً أننا نميز وندرك كلاً من هاتين النسبتين مع ما يتعلق بهما (أنظر ١يو٢:١٢_١٧) فلا يليق بنا أن نخاطب الآب بعبارات تختص بالابن أو نخاطب الابن بنسبتنا التي لنا مع الآب لأن لكل أقنوم عمله الخاص لنا ونسبته الخاصة معنا, وعلاقته الخاصة بنا.

(أشكر إلهي كل حين ذاكراً إياك في صلواتي) ع٤

ما جاء في هذه الآية يشبه ما كتبه للقديسين في فليبي. وهذا يتمشى مع ما قيل في المقدمة من أن هذه الرسالة كتبها الرسول في نفس الوقت الذي كتب فيه رسائله إلى أفسس وفليبي وكولوسي ويتضح من هذا أن الرسول اعتاد أن يصلي لأجل الكنائس, ولأجل الأفراد أيضاً وكونه مقيداً بسلسلة إلى جندي روماني لم يمنعه من تقديم الصلاة الانفرادية. إن محبة وأيمان قديس واحد جعلت قلب الرسول يفيض بالشكر والحمد لإلهه. كالتذلل العميق أمام الله بسبب سلوك البعض المحزن ولكن الحالة هنا ممجدة لله إذ يقول لفيلمون:

(سامعاً بمحبتك والإيمان الذي لك نحو الرب يسوع ولجميع القديسين) (ع٥)

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذه المحبة, وذلك الإيمان الذي كان الرسول يشتاق أن يراهما فائضين متسعين. ولكن هاهو قد طرح رغبته أمام الله. قبل أن يفاتح بها فيلمون وهو الآن يذكرها لكي يستحضر نفس فيلمون أمام الله مباشرة. إنه يريد أن يُعرف فيلمون مقدار الفرح الذي عرفه هو في دائرة الشركة.

(محبتك والإيمان الذي لك) ذكر الرسول هنا محبة فيلمون قبل إيمانه لأنه راغب في أن يظهر هذه المحبة لأنسيمس برهاناً على إخلاص إيمانه نحو المسيح ولجميع القديسين أي لكل المؤمنين باعتبار كونهم مدعوين في القداسة ومكرسين لله. ولا يراد بالقديسين هنا طبقة خاصة عن باقي المؤمنين بل كل المؤمنين هم قديسين في المسيح أمام الله. وذلك بحسب مركزهم ومقامهم الجديد الذي تعلنه كلمة الله.

(لكي تكون شركة إيمانك فعالة في معرفة كل الصلاح الذي فيكم لأجل المسيح يسوع) (ع٦)

(شركة). ما أبرك هذه الكلمة. فكل ما هو مشترك بيننا نشترك فيه على إعتبار إننا واحد في المسيح له المجد أن الله يس بأن يعطي ويقاسمنا ما يعطينا إياه. والنعمة لابد أن تفعل هذا أينما وجدت, ولكن الإنسان بحسب طبيعته

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يميل لأن يقف دائماً على أساس ما هو خاص به ولا شك أن الطريقة التي أراد بها الرسول بولس أن يصل بنفس فيلمون إلى تحقيق هذه الشركة معه. هي من أبدع الطرق وأجملها.

إن نفسه كانت تتلذذ وتستريح بهذه العلاقة علاقة الشركة مع إخوته. فأساسها هو اسمى من علاقة جسدية لأنهم جميعاً لم يكونوا إخوة بعضهم لبعض إلا لأنهم كانوا مرتبطين بالرب الذي تنازل وقبل أن يدعونا إخوة له قائلاً لأبيه باسمك أُخبر إخوتي. فالرب يسوع قد قبل أنسيمس ويريد أن يعترف فيلمون بهذه العلاقة معه كما أعترف بولس بها بسرور. لقد كانت نفس الرسول تسعى دائماً لأن تستريح في جو هذه الشركة الأخوية مع القديسين وليس فيما كان يميزه عنهم. وأليس هذا هو فكر المسيح أنه لا يستحي أن يدعونا إخوة. هو السيد وهو المعلم ولكن ألقابه هذه لا تتضمن معنى الشركة ولذلك فإن أول عبارة نطق بها بعد خروجه من ((تعب نفسه)) كانت تلك العبارات الجميلة التي دلت على سروره الأعظم والتيهي اسمى وأعجب ما وقع على الأذن البشرية ((إذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)) هنا كانت الشركة, إله وأبو ربنا يسوع المسيح نفسه هو إلهنا وأبونا نحن أيضاً. وعلى هذا فقد كانت نفس الرسول التي تعلمت وتعمقت في جو الشركة مع

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الآب والابن تجد لذاتها في كل ما هو مشترك مع الآخرين وتشتاق أن يظهر هذا في فيلمون أيضاً هل فيلمون حبيبه؟ إن كان الأمر كذلك فهو يريد أن يقبل أنسيمس أخاً محبوباً. إن نفس الرسول تفاضلت بفكرة الشركة. ويالها من بركة تقودنا إليها النعمة إذ تجعلنا نتسامى ونتفاضل فوق أفكارنا الصغيرة الخاصة بأنفسنا وأشخاصنا. لقد كان بولس في موقف السلطان الأكيد الذي لاشك فيه كرسول ومع ذلك لم يرد أن يقرر هذا السلطان ويملي إرادته بل أعظم ما نراه فيه من اتساع نفس إذ يذكر المأسور معه والمتجند معه. بعد هذا كم كان من المناسب وكم كان له من الحق في أن يدعو فيلمون إلى هذه الشركة الفعالة العملية التي كان يمارسها هو نفسه. أعني توصيل البركة للآخرين بالشركة مع عواطف وأفكار الله الذي هو أصل كل بركة وصلت إلينا.

*****

(**لكي تكون شركة إيمانك فعالة**) والواقع أن إيمان فيلمون هو الذي كان مطلوب أن يعمل في هذه المشكلة. ذلك لأن كل حاسة طبيعية وكل عادة بشرية كانت تقف حائلً دون تنفيذ ما هو لائق في هذه الحالة. كان الأمر يتطلب الإيمان العامل بالمحبة فلا شيء غير ذلك كان يمكن أن يقود فيلمون لأن يقبل أنسيمس بالترحاب كأخ. فأين كان يضع الإيمان فيلمون؟ لقد كان يضعه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بلا شك أمام الله كخاطىء هالك ولكنه مخلص بالنعمة دون سواها. فإن وضع أنسيمس بجانبه هناك هل كان يرى من فرق؟ كان يرى شخصاً هالكاً نظيره بالتمام ولكنه مخلص بالنعمة ذاتها. ولكن ما أعمق الحق الذي تتضمنه الكلمات التي تلي ذلك مباشرةً ((لكي تكون شركة إيمانك فعالة في معرفة كل الصلاح الذي فيكم (١) لأجل المسيح يسوع)) إن إيمان بولس أعتمد كثيراً على الصلاح الذي في فيلمون لأجل المسيح (٢) وذلك لأنه كان يعرف أن ملء المسيح (إن جاز التعبير) هو ملك أصغر قديس وهو لذلك يريد أن يحرك إيمان فيلمون لإظهار هذا الصلاح (٣) ولا شك أن فيلمون كان يعرف أن فيه أي في جسده لا يسكن شيئاً صالحاً. لكن بولس يخاطبه كشخص قد اتحد بالمسيح الذي يسكن فيه كل الصلاح ولذلك هو يدعو بأن يظهر كل الصلاح الذي فيه (في) المسيح يسوع. هذه هي مسؤوليتنا

(١) في الأصل ((الذي فينا)).

(٢) ((أو نحو المسيح)) (بحسب النص الأصلي).

(٣) هي نفس الكلمة المترجمة ((خير)) في (ع١٤).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المسيحية نحن مطالبون بأن نمارس النعمة التي في المسيح يسوع لأننا متحدون معه ليس لدوام أمننا فقط بل لدوام ثمرنا أيضاً. صحيح أن بركة ارتباطنا بالمسيح لن تظهر بكمالها وعظمتها إلا في المجد ولكن أبانا ينتظر أن يرى فينا من الآن ثمر هذا الارتباط ((بهذا يتمجد أبي أن تأتوا بثمرٍ كثير)) (يو١٥:٨).

وهكذا اشتاق بولس أن يرى فيلمون يحيا عملياً حياة إيمان ابن الله. فإن شعر في نفسه بأي نفور طبيعي من قبول أنسيمس. فما عليه إلا أن ينظر إلى المسيح وإلى وحدته معه لكي يعرف ماذا كانت تعمل نعمته في ظرف كهذا وحينئذ يستدر من ملئه نعمة تعينه على إظهار مثلها. حقاً ما أقل ما ندركه نحن المساكين بأن لنا اتحاد بالمسيح شيئاً أكثر من مجرد الكفاية للخلاص.

وكأننا نخشى أن نتوقع أي شيء صالح مصدره منا (١) بل والأردأ من ذلك أننا نستخدم معرفتنا عن الشر الساكن فينا لعدم انتظار أي شيء صالح لو كان هذا يتعارض مع الحق الآخر. ولكن لنعلم أن وحدتنا مع المسيح تدعونا لمعرفة كل الصلاح الذي فينا لأجله. وإن الإيمان يظهر هذا الصلاح في الوقت المناسب ومتى سنحت الفرصة. وهاهي الفرصة مقدمة الآن لفيلمون ومتى استجاب لعمل الإيمان وأظهر الصلاح المطلوب فإن ذلك من الأسباب التي تجعل قلب الرسول يفيض بالشكر لله من أجل هذا العمل المبارك.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(لأن لنا فرحاً كثيراً بسبب محبتك لأن أحشاء القديسين قد إستراحت بك أيها الأخ) (ع٧)

يا له من فرح كريم خالٍ من كل أنانية كان يملأ نفس الرسول. يقيناً أن هذا هو فرح الرب. لقد كان فرح الرب شخصياً أن يخدم القديسين لما كان على الأرض. وهو نفس فرحه الآن إذ يخدمهم وهو في السماء وأن يمنح المواهب والتي تحفظ محبته المغذية والمنعشة مستمرة للكنيسة كما يقول الرسول يوحنا لغايس الحبيب ((ليس لي فرح أعظم من هذا أن اسمع عن أولادي أنهم يسلكون بالحق (٣يو٤) ويقول هذا كتعبير لفكر المسيح يا ليت فرح الرب يكون هو دائماً ملء قلوبنا.

((لأن أحشاء القديسين قد استراحت بك أيها الأخ)) أي عميق عواطفهم استراحت بفيلمون لمشاهدة الإيمان والمحبة والنعمة التي فيه. وها بولس يطلب من فيلمون نفس هذه الراحة والتعزية لنفسه ويريدها أن تظهر منه بصدد إرجاع أنسيمس إليه. وفي نفس الوقت يبعث فيلمون كل عواطفه ومحبة قلبه إذ من الجميل أن يقال عن فيلمون ((لأن أحشاء القديسين قد استراحت بك أيها الأخ)), وهذا ما يجب أن يتصف به كل أخ فلا يكون سبب تكدير ومرارة لأخوته المؤمنين بل سبب راحة لأحشائهم وتعزية لنفوسهم.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(لذلك وإن كان لي بالمسيح ثقة كثيرة أن آمرك بما يليق) (ع٨)

(١) صحيح أن لا يسكن فيَّ أي في جسدي شيء صالح ولكن مكتوب من الجهة الأخرى ((أحفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا)) وهكذا هنا يعتمد الرسول على العلاج الساكن في فيلمون بالروح القدس لكي يظهر في وقته المناسب لمجد المسيح.

(لذلك) أي لما أظهرته من المحبة للأخوة والإحسان إليهم ((وإن كان لي بالمسيح ثقة كثيرة أن آمرك))

نظراً إلى كوني رسول المسيح ولي سلطان فيه (١تي٢:٧) ((بما يليق)) أي بما يوافق وينفع. ما أعظم هذا الأسلوب وما أجمله ألم يكن بولس رسولاً؟ لا شك أنه كذلك, وما كان ممكناً قط أن يتخلى عن السلطان المعطى له مهما قادته النعمة أن يفعل ما فعله سيده قبله لكي يأتي بالخطاة إلى الله ويقود القديسين إلى الطاعة في المحبة. فهو يقرر سلطانه بكل وضوح قائلاً ((وإن كان لي بالمسيح ثقة كثيرة أن آمرك بما يليق)) فبولس لم يجرؤ أن يتخلى عن سلطانه كرسول فقد كان مسؤولاً عن ممارسة هذا السلطان في خدمة الرب الذي ائتمنه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وللضرورة كان يستخدم الشدة فعلاً, ولكن إن كان بولس في الكنيسة بالنسبة لفيلمون واضحاً محدداً إلا أن نفسه استراحت أكثر جداً في إستنادها على ما كان مشتركاً بينه وبين فيلمون أي المحبة وليس الاستناد على السلطان الرسولي. بهذه الصورة واضعاً نفسه كمثال أراد الرسول أن يعلم فيلمون أن العلاقة بين السيد والعبد لازالت قائمة في دائرة الحياة الاجتماعية ولكن ليس في الكنيسة والعلاقة في الكنيسة أبدية أما في الأمور الأرضية فهي وقتية.

كان فيلمون مسؤولاً كسيد أمام سيده الأعظم في السموات (كو٤:١) لكن كان هناك باب مفتوح أمامه ليظهر شيئاً من النعمة التي تعامل بها الرسول معه أو بالحري نعمة الرب نفسه الذي مع أنه أتضع إلى أقصى درجات الاتضاع فلم يكن ممكناً أن يغير هذا ولو يسيراً مما كان عليه في جوهره, الله الظاهر في الجسد, ولكنه استطاع بهذا الاتضاع أن يفعل في النفس ما لم يكن (إن جاز التعبير) في استطاعته أن يفعله بغير هذا الاتضاع. مقدماً نفسه بالنعمة مثالاً عجيباً حياً كما قال ((أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض, لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً)) (يو١٣:١٣-١٥) فلقد كان سرور قلب

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الرب أن يضع نفسه في هذا الموضع الذي به يستطيع أن يؤهلنا لفرح الشركة معه.

إن المسيح بإعتباره ((رب الكل)) (أع١٠:٣٦) يقف وحده فوق الكل ومركزه هذا لا يستطيع أن يتنازل عنه لأن هذا يكون معناه إنكار ذاته (وحاشا لسيدنا من ذلك) ولكن في الوقت الذي له كل السلطان أن يأمر كالسيد رضي كالمتضع أن يعطينا مثالاً لكي نتبع خطواته فهو يجد لذاته في النزول إلى مستوانا لكي يرفعنا إلى مجده. وهذا هو طريق النعمة.

وواضح أنه لو لم يكن الرب يسوع مساوياً لله لما كان هذا الأتضاع يعتبر نعمة منه. فالنعمة الحقة أنه وهو الله ((لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله (لكنه) أخلى نفسه آخذاً صورة عبد)) (في٢:٦،٧) أما اسمى اللائق العاقلة فلا يخرج عن كونه عبداً فالنعمة هي قدرة الله مع الاحتفاظ بصفاته في الوقت الذي لا يطالبنا فيه بحقوقه دون التنازل عن هذه الحقوق. وهذه هي أعجوبة الفداء أنه في الوقت الذي يخلينا من جميع مطاليب الله ضدنا يرينا هذه المطاليب وإذا بها قد سدت جميعها تسديداً كاملاً لأنه ((إله بار ومخلص)) (أش٤٥:٢١).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وهكذا الحال مع بولس أنه لا يستطيع التنازل عن سلطانه كرسول ولكنه كان له من الجهة الأخرى أن يتصرف بالنعمة فيقف مع فيلمون على أساس ماهو مشترك بينهما وبين الكنيسة كلها. ألا وهو أساس الأخوة في المسيح يسوع وهنا عوضاً عن أن يأمر بسلطان نراه يقول:

(من أجل المحبة أطلب بالحري إذ أنا إنسان هكذا نظير بولس الشيخ والآن أسير يسوع المسيح أيضاً) (ع٩).

فهو بالمحبة الأخوية على سبيل المعروف ما لم يستحسن أن يأمر به وأراد بالمحبة التي يمتاز بها كل المؤمنين بالمسيح لا محبة فيلمون الخاصة, ومع إعترافه الكامل بما بين فيلمون وأنسيمس من علاقة السيد والعبد وهي علاقة ليس في وسع الرسول أن يلغيها ومع أنه كان من حقه أن يأمر ((بما يليق)) إلا أنه يترك لفيلمون فرصة أ، التصرف بالنعمة والوقوف تجاه أنسيمس موقف الأخوة والشركة حاسباً هذه العلاقة الجديدة فوق العلاقة القديمة ولو أن العلاقة القديمة لا تزال مستمرة وقائمة. وإنه لمن المهم للغاية ملاحظة كيف أن سيدنا المنعم يهيء لنا الفرص والمناسبات لإظهار النعمة, وممارستها فهو له المجد قلما يخاطبنا بصوت الأمر والنهي قائلاً أذهب أفعل هذا, بل يقول ((هذا هو

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فكري)) فأذهب ونفذه بقدر ما تستطيع. وكل من هو كامل يحاول أن يكون كسيده وعندما يصل الرسول إلى النقطة الخاصة بكتابته لفيلمون يقدم نفسه هكذا ((إذ أنا إنسان نظير بولس الشيخ والآن أسير يسوع المسيح أيضاً)) وماذا كان بولس الشيخ يتعلمه في حياته الطويلة الماضية؟ كان يتعلم نعمة الرب يسوع المسيح.

والطلب الذي يطلبه الآن من فيلمون ليس أساسه السلطان الذي كان يمكن أن يستعمله بل أساسه اختباره الطويل عن البركة في طرق النعمة في نفسه وكذلك ما كان يكابده من آلام لأجل الكرازة بإنجيل النعمة للجميع (قارن ذلك مع أف٣: ١).

ولكن كما أنه راضٍ وقانع بوجوده في القيود والأغلال لأنه أسير الرب. وهكذا كان مسروراً وفرحاً بالربط التي بها قد صار فيلمون واحداً معه إلى الأبد.

(أسير يسوع المسيح)

بهذه العبارة يرى فيلمون شيئين:

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أولاً: أن بولس كان يعاني الآلام و لم يكن كشخص أحتفظ بمركزه في هذا العالم كمعترف بالمسيح الرب صاحب كل سلطان في السماء والأرض.

ثانياً: أن يتحمل متاعب السجن بكل صبر لأنه يرى أن الناس ليسوا إلا الآت في يد الرب. ولذلك هو راضي بالوجود هناك لأنه ليس أسير إنسان بل أسير الرب.

(أطلب إليك لأجل ابني أنسيمس الذي ولدته في قيودي) (ع١٠)

يطلب لأجل أنسيمس كابن روحي له, ولده في قيوده. وفي شيخوخة الرسول وفي سجنه كان عزاء له.

حقاً ماأعظم هذا الأسلوب وما أجمله. إن كل حجة يقدمها بولس لصالح أنسيمس كانت تقود نفس فيلمون إلى محضر الله وتجعله يستعرض من جديد تفصيلات نعمة الله من جهته. طريقة مباركة لتعلم الطاعة باستحضار كل محبة الله أمام النفس ((ابني أنسيمس)) كان أنسيمس عبداً شريراً خائناً يستحق السجن والعقاب ولكنه قد تحرر بنعمة الله. لقد خرج هارباً من بيت فيلمون سيده وذهب إلى روما وهناك وضعت نعمة الله يدها عليه وتعامل الله

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مع هذه النفس المسكينة فقادها إلى حيث يوجد بولس الرسول حيث تغير الحال معه كل التغير. وفي هذا نرى نعمة الله الغنية تفتقد الأثمة المذنبين وتخلص أشر الخطاة ((صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة)) (١تي١:١٥)

إن الله لا يسر بموت الشرير ولا يشاء أن يهلك إنسان بل أن يقبل الجميع إلى التوبة ويريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون ((وإذا قد وجد الوسيط المصالح يقول أطلقه عن الهبوط إلى الحفرة قد وجدت فدية)) (أي٣٣:٢٣) ومن ذا الذي يستطيع أن يقدر قيمة عمل المسيح على الصليب؟ تلك القيمة غير المحدودة التي على أساسها يقبل الله الخاطىء ويجعله ابناً له.

((الذي ولدته في قيودي)) وكأن هذه العبارة لسان حال الرب نفسه وهو على الصليب. وفي الواقع لا يمكن فصل الصليب عن كل البركات التي يتحصل عليها المؤمن. إبتداءً من هذه البركات العظيمة التي هي الولادة الجديدة لذلك يقول الرسول ((لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً)) (كو٢:٢)

(الذي كان قبلاً غير نافع لك ولكنه الآن نافع لك ولي)

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(١١ع)

معنى اسم أنسيمس في اليونانية ((نافع)) وكأن الرسول يقول أن أنسيمس لم يكن كاسمه أي نافعاً لأنه أختلس من مال سيده وهرب ولكنه الآن بعدما صار مؤمناً بالمسيح تستفيد من خدمته بالأمانة والاجتهاد. نافع لك ولي فاستحق هذا الاسم الذي لم يكن يستحقه قبلاً.

أنسيمس بعد أن كان عبداً غير نافع صار نافعاً للرسول ولفيلمون أيضاً. فما أجمل عمل النعمة التي تصنع من الإنسان الشرير قديساً محبوباً. والرسول بولس في رسالته إلى كولوسي يقدم أنسيمس للكنيسة كلها كالأخ الأمين الحبيب (كو٤:٩) وماذا كان أنسيمس قبلاً لله؟ كان غبياً غير طائع مستعبد للشهوات واللذات المختلفة نظير غيره من البشر ولكن معرفته لمحبة الله في نفسه جعلت منه الآن خادماً أميناً للرب نافعاً لقديسيه. لاشك أن ميول النفس قد أصبحت تقوده لأن يرى ماهو لائق وأن خيره يجب أن يكون على سبيل الاختيار وليس على سبيل الأضطرار.

بركة عظمى للمؤمن أن تكون طاعته صادرة عن تقديره وعرفانه لكل ملء محبة الله.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إن الله يرينا أن كل ما نقدمه يكون بسماحة قلب (خر٣٥:٢٩) وبسرور لا عن إضطرار بل باختيار.

إنه تبارك اسمه يرينا طرقه وجميع الذين ينقادون بالروح يتبعونها. يجب أن يكون هناك إدراك أعمق وأوسع لنعمة الله لكي يكون هناك ثمر أكثر لله فالرسول يقول عن الإنجيل ((وهو مثمر كما فيكم أيضاً منذ يوم سمعتم وعرفتم نعمة الله بالحقيقة.)) (كو١:٦) هذا ما يحتاج إليه القديسون في الوقت الحاضر إدراك نعمة الله بالحقيقة.

(الذي رددته. فاقبله الذي هو أحشائي) (ع١٢)

((الذي رددته)) كأن أنسيمس أمانة كانت عند بولس وردها إلى صاحبها. ولكن هل ردها كما قبلها؟ كلا إن الذي يرد الأمانة كما هي يعتبر أميناً ولكن في المثل الوارد في (مت٢٥:١٤) يقول السيد للعبد الذي ربح وزنات فوق ما أخذ ((نعماً أيها العبد الصالح والأمين)) فلم يكن أميناً فقط بل صالح أيضاً, وهكذا كان بولس. لقد وصل إليه أنسيمس في صورة عبد مغتصب وظالم وسارق وهارب من سيده أما هو فكان في السجن لأجل البر ولأجل الإنجيل وهذا يأتي بنا إلى الرب يسوع المسيح معلقاً على الصليب وبجواره اللص القاتل الذي عمل فيه بنعمته للتوبة والإعتراف بأنه ينال بعد

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

استحقاق ما فعل والإيمان بالرب البار الذي لم يفعل شيئاً ليس في محله وكالذي سيأتي في ملكوته ولقد سبق الرب اللص إلى الفردوس ثم أرسل ملائكته بحسب وعده ليحملوا روح اللص كما حملوا روح لعازر (لو١٦:٢٢).

*****

((**الذي هو أحشائي**)) أليس هذا إستعراضاً لمعاملات نعمة الله؟ ألا يوجد الآن شيء ينعش قلب الله في هذا العالم الذي رفضه بقتل ابنه الحبيب الوحيد؟ لاشك أن أحشاء رحمة إلهنا (لو١:٧٨) هي التي أنعشتنا ولاشك أيضاً أن إستجابتنا نحن لهذه الأحشاء هي التي تنعشه. ((فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رافات)) فقبول أحد القديسين باسم المسيح هو قبول لشخصه وعندما نقبل أحد القديسين لمحبة المسيح المنعشة فعندئذ تكون لله رائحة المسيح الذكية. كم من المرات تقف قلوبنا الغبية حجر عثرة في سبيل مشاركة الله للقديسين في أفراحهم.

*****

((**أحشائي**)) أي كنفسي وبذاك أظهر الرسول فرط ثقته بذلك العبد حتى وضع نفسه مكانه. وكان ما يخصه ويخص الرسول نفسه. وفي هذا أقول

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نجد ظلاً ضعيفاً لمحبة المسيح لخاصته كرئيس الكهنة العظيم الذي يحمل شعبه على صدره. فالمسيح هو الوسيط بين الله والإنسان الخاطىء. وهو أيضاً رئيس الكهنة العظيم الذي يرثي بمحبته وحنانه لضعفات المؤمن وهو أيضاً الشفيع الذي يقيم المؤمن من عثراته ويخلصه من سقطاته لأنه ضامن خلاصه أمام الله ضماناً إلهياً أبدياً فبقلبه يرثي وبقدرته يخلص إلى التمام فيستطيع المؤمن أن يقول ((لا تشمتي بي يا عدوتي إذا سقطت أقوم)) (مي٧:٨) فخلاص المؤمن ثابت ومضمون بذاك الذي قال ((لا تخف أنا هو الأول والأخر والحي وكنت ميتاً وهاأنا حي إلى أبد الأبدين)) (رؤ١:١٨).

(الذي كنت أشاء أن أمسكه عندي لكي يخدمني عوضاً عنك في قيود الإنجيل) (ع١٣)

قال هذا تأكيداً لثقته بأنسيمس. وأنه مستحق ثقة فيلمون أيضاً. ويدل على أنه يسر بخدمته ويحتاج إليها ويرغب في استمرارها لولا حق فيلمون فيها.

إمتياز لكل مؤمن أن يخدم ((أسير يسوع المسيح)) لم يكن فيلمون يمانع أن يخدم بولس أو يمنع عبده أنسيمس لو طُلب منه ذلك لكن الرسول أراد أن يكون ذلك اختياراً وليس اضطراراً.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

كان بولس مقيداً بالسلاسل ليلاً ونهاراً من أجل الإنجيل وهذه القيود جعلته في حاجة إلى خدمة الآخرين له. ولولا ذلك لكان في غنى عن أنسيمس ((كنت أشاء أن أمسكه عندي لكي يخدمني)) هذا هو فكر المسيح. لم تكن للتلاميذ شركة في الآلام التي تحملها بالنيابة عنا في كفارته الخالدة. والواقع أنه ما كان في استطاعته أحدٌ يقف معه في تلك الساعات الرهيبة ولكن ماذا كان بعد ذلك؟ وماذا كانت النتيجة من كل تلك الأهوال التي قاساها وحده؟ سوى أننا صرنا متحدين معه مرتبطين به بربط أبدية- والنتيجة الحاضرة من هذه الوحدة هي الخدمة الطائعة الأختيارية التي تقدم له في أشخاص قديسيه والأعتراف به في العالم الذي رفضه. وبولس يقف كالإناء المختار يحمل اسم سيده وهو يذكر هذا. بل ويفتخر به في معرض إمتداحه لأنيسيفورس وتبيان فضله إذ يقول عنه ((لم يخجل بسلسلتي)) (٢تي١:١٦)).

يقول الرسول بولس لأخوه فليبي أن وثقه صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية وباقي الأماكن أجمع (في١:١٢و١٣) أي أن قيوده أصبحت ظاهرة أنها ليست ذنب أرتكبه بل بسبب شهادته للمسيح ويسميها قيود الإنجيل وقد آل ذلك إلى تقدم الإنجيل, فإن كان الناس يقدرون آلام شاهد المسيح ويؤول ذلك لمجد المسيح فبالحري يكون تقدير المؤمنين لآلام الرسول ويزداد

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

حبهم له. وإن حالته الراهنة أدعى لإظهار الطاعة له في غير تـــوان أو تـــردد. ولكن من الناحية الأخرى كما كانت نفس بولس ممتلئة وشبعانة بروح المسيح الذي في حياته على الأرض أظهر الطاعة الاختيارية المستنيرة إذ يردف قائلاً:

(ولكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل شيئاً لكي لا يكون خيرك كأنه على سبيل الإضطرار بل على سبيل الأختيار) (ع١٤)

إن الرب يحب المعطي المسرور ولذلك هو يفرح بطاعتنـــا الإختياريـــة والباعث لها هو المحبة التي تعلمناها من الرب والتي لا تطلب ما لنفسها بعكـــس تصورات العبد الشرير عن الرب أنه سيد قاس يريد أن يحصل مـــن حيـــث لم يزرع.

إنه يرينا فكرة ويكشف لنا عن طرق النعمة.وينير أذهاننا وعقولنا حتى نرى صلاحية وجمال ما يريده. ثم هو بعد ذلك يعطينا الفرصة لنتصرف بالحرية المسيحية. إذاً النتيجة الحتمية هي أن السلوك بالروح يكون معناه السير مع الرب في الطريق التي يرسمها. ومع أن هذا لابد أن يكون معناه وضع الجسد في حكم الموت. وبالتبعية آلاماً مستديمة إلا أن إمتيازنا الجديد المستنير يستطيع وهو سائر

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

في هذه الطريق, ومهما كانت الآلام أن يهتف قائلاً ((طرقها (الحكمة) طـــرق نعم وكل مسالكها سلام (أم٣:١٧))).

*****

كم من المرات تتساءل قلوبنا المسكينة قائلة هل هذا محتم؟ هل لابد من عمله؟ ولكن الله لا يخاطبنا بهذا الأسلوب فهو وإن كان لا يمكـــن أن ينكـــر سيادته وربوبيته إلا أنه يرينا ((ما يليق)) معتمداً على ذهننا المتجدد لتمييز ذلك, يخبرنا بما هو مرضي أمامه فهو يضع الأمور أمام عواطفنا ومحبتنا وعندئذ يأتينـــا القول ((إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي)).

ما أعمق الشركة مع المسيح التي لابد كانت عليها تلك الـــنفس الـــتي إستطاعت أن تقول ((ليس على سبيل الإضطرار)), وما أقل إدراكنـــا لنعمـــة المسيح. عندما نضع طاعتنا على أساس الأمر والنهي أو نقيسها بمقياس الواجب بدلاً من إعتبارها ثمراً طبيعياً من أثمار الحياة الجديدة الـــتي فينـــا, إذ أن الحيـــاة المقترنة بالمسيح التي كان يعلم بولس بوجودها في فيلمون. هي التي كان يسعى لمخاطبتها والوصول إليها عندئذٍ تأتي الطاعة مختارة طبيعية وسهلة. ليس طبيعيـــاً في الحياة المسيحية أن يكون السلوك مصدره الضرورة أو الإضطرار فهو يكون

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أشبه بخروج الإنسان عن طريقه بدلاً من السلوك المسيحي بالروح ولذلك فإن ما يحتاج إليه المسيحي الحقيقي هو الإتصال الشخصي بالرب نفسه حتى يعرف أفكاره ويتعلم طرقه وعندئذ تصبح الطاعة حتى وإن كان يتعلمها عن طريق الآلام طاعة إختيارية. غير أن هناك نقطة صغيرة أخرى جديرة بالملاحظة مرتبطة إرتباطاً كبيراً بالتلمذة للمسيح. فقد يكون هناك أشياء وما أكثرها لا يوحي بها الرب باعتباره رباً وسيداً ولكنه مع ذلك يعلمنا إياها باعتباره معلماً. ولاشك أن أغلب التناقضات في حياة الكثيرين يبررها أصحابه باعتبارها غي محرمة أو إنه لا يوجد في الكلمة نص صريح بخط سير معين ولكن هاهو الرسول يضع الأمر في نصابه عندما يقول ((لكي لا يكون خيرك كأنه على سبيل الإضطرار)) أمر هام أن نعلم أن الكثير جداً من الأمور التي يتزين بها الإنجيل ليست محتمة علينا بوصايا صريحة بل نتعلمها في مدرسة المسيح لأنه هو معلمنا الوحيد, وكل من صار كاملاً يكون مثل معلمه.

(لأنه ربما لأجل هذا إفترق عنك إلي ساعة لكي يكون لك إلى الأبد) (ع١٥)

((لأنه ربما)) لم يرد أن يؤكد هذا الأمر باعتبار كونه رسولاً ويكشف لفيلمون أسرار العناية الإلهية بل تكلم كصديق ينبيء صديقه بما يمكن أن يكون

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

قصد الله بسماحة بأن يتركه أنسيمس لأجل هذا أي لكي يكون له إلى الأبد, أي أن الله سمح بأن يخسر فيلمون هذه الخسارة بهروب عبده لكي يحوله إلى منفعة أعظم من الأول بواسطة إيمانه بالمسيح ورجوعه إليه, كقول يوسف لأخوته ((والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتموني إلى هنا لأنه لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم.. فقد أرسلني الله قدامكم ليجعل لكم بقية في الأرض وليستبقي لكم نجاة عظيمة فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله)) (تك٤٥:٥ـ٨) وأراد الرسول بقوله ((إلي ساعة)) أن يشير إلى المدة الوجيزة بالمقابلة مع العلاقة التي صارت بينهم إلى الأبد.

((لأنه ربما لأجل هذا إفترق عنك إلي ساعة لكي يكون لك إلى الأبد)) فهنا نجد تلميحات إلى الحقيقة الواقعة وهي أن أنسيمس قد أساء إلى سيده ـ قد سرق أو أختلس ـ وهل الله يبرر عدم الأمانة أو الأختلاس؟ حاشا ((لأن الظالمين لا يرثون ملكوت الله)) (١كو٩) إن عدم أمانة أنسيمس قادته إلى روما حيث يختفي المجرمون لكن النعمة قادته إلى بولس رسول يسوع المسيح ومن ثم حدث التغيير وقادته إلى الإعتراف الصحيح بما فعل وبالتبعية إلى التذلل الصحيح. ومع ذلك فستظل لاصقة به مذكرة إياه على الدوام بحقيقة ذاته ومانعة إياه من أن يفتخر بشيء سوى بنعمة الله التي إزدادت جداً فوق

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

جميع خطاياه ولذلك بينما هو يشعر بالإطمئنان الكلي والإيمان العامل في محبة الله يشعر بالمذلة الكاملة والإتضاع الكلي فيما يتعلق بنفسه فإن كمال نعمة الله المطلق وكمال تطهير دم المسيح لكل خطيئة يعطي الخاطىء عند التبرير أعمق الشعور بكره للخطيئة. ولكن مامن شخصٍ لم يتعود تتبع طرق الله في الفداء كان يجسر على إبداء فكر كالذي نراه هنا. فهذا الفكر الذي يتناول حالة خاصة يتضمن أيضاً صورة عامة وهي أن الإنسان الساقط الهارب من الله كمخلوق قد أصبح بالفداء بيسوع المسيح مقبولاً من الله إلى الأبد. نرى الابن الضال تاركاً بيت أبيه إلى حين. ولكننا نراه بعد ذلك وبعد إختبار مرارة تصرفاته راجعاً في محبة الآب ومقبولاً منه إلى الأبد. إن الإنسان كمخلوق قد يترك وقد ترك فعلاً مركز البركة بعلاقته بخالقه, والإنسان كعبد لم يكن مرتبطاً بالله برابطة غير قابلة للأنفصال ولكن بعكس ذلك المولود من الله فقد أرتبط بالله برابطة لا تنفصم عراها قد قبله الله إلى الأبد. هذا هو فرح قلب الآب ((أخاك جاء فذبح أبوك العجل المسمن لأنه قبله سالماً (لو١٥:٢٧) وعندما عاد أنسيمس إلى فيلمون هل تظن أنه فكر في إعداد برنامج جديد للعصيان؟ كلا. لأنه ولد ولادة ثانية وأصبح إنساناً جديداً وخدمته الآن ليست خدمة الخوف بل هي خدمة المحبة. وهكذا كل مؤمن سلك بحسب النعمة الغنية التي خلصته

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

والتي تعلمه أن ينكر الفجور والشهوات العالمية ويعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر وينتظر مجيء الرب.

(لا كعبد فيما بعد بل أفضل من عبد أخاً محبوباً ولاسيما إلي, فكم بالحري إليك في الجسد والرب جميعاً) (ع١٦)

يالها من بركة كانت لفيلمون أن يشاطر فرح السماء بخاطىء تاب بقبول أنسيمس لا كعبد فيما بعد بل أفضل من عبد أخاً محبوباً. فإن علاقتهما الواحد بالآخر كسيد وعبد سريعة الإنحلال ومصيرها إلى الزوال إن طال الزمان أو قصر.

كما هو مكتوب أن العبد لا يبقى في البيت إلى الأبد (يو٨:٣٥) أما شركتنا معاً في المسيح فهي أبدية. والواقع أنه لو لم يكن هذا هو الحق الذي كان يعيش فيه الرسول لما استطاع أن يعبر عنه بهذه الصورة. إن نفسه المغبوطة كانت ساكنة وثابتة في الله ولذلك استطاعت أن تعبر تعبيراً صحيحاً عن طرق الله وأفكاره ولذلك يقول الرسول لفيلمون أن أنسيمس يكون أفضل من عبد أخاً محبوباً ولا سيما إلي فكم بالحري إليك في الجسد والرب جميعاً.

*****

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذه الآية تبين شدة العلاقة بين المؤمنين بالمسيح فإنهم باتحادهم معاً بشخصه المبارك صار العبد أخاً مساوياً لسيده في كل الأمتيازات الروحية. مع بقاء العلاقة الأجتماعية حيث كان أنسيمس عبد وفيلمون سيداً له, ومع ذلك محبة المؤمن لأخيه في المسيح أقوى من أية علاقة طبيعية جسدية. فالمؤمن له شركة مع أخيه في أفراحه وأحزانه واستعداداً لأن ينكر نفسه بغية خير أخيه وهذا لا يلزم فيلمون أن يعتق عبده بل يستلزم أن يحبه محبة الأخ المسيحي بقي عبداً أو لم يبق.

(فإن كنت تحسبني شريكاً فاقبله نظيري) (ع١٧)

فإن كنت تحسبني شريكاً في خدمة المسيح وخدمة الإنجيل ورجاء المجد فاقبله نظيري كما قال أنفاً (فاقبله الذي هو أحشائي) (ع١٢) أي اقبله كأنك تقبلني لا كأنك تقبل أنسيمس العبد الذي عرفته قبلاً. فنرى في كلام بولس هذا مثالاً من كلام سيدنا وهو ممثلنا أمام الله كذبيحة المحرقة مقبولين فيه كقبوله تماماً ومحبوبين نظيره (يو١٧:٢٣).

*****

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

كان الرسول يشتاق أن يقاسم فيلمون هذه الشركة الإلهية المباركة ((شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح)) لقد كان من حظ بولس أن جعله الرب شريكاً في أعمق أفكاره. وقد عرف فيلمون أنه كان شريكاً للرسول في أشياء كثيرة مجيدة كالخلاص المشترك وكل ملء المسيح ولكن بولس كان يشتاق أن يشاركه بشيء آخر ((فاقبله نظيري)) يا لها من كلمات عظيمة وغالية ترينا كيف أن المؤمن مقبول في المسيح قبولاً كاملاً أمام الله مثل المسيح تماماً ((لأن المسيح صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء)) وفي الحديث الذي وجهه المسيح إلى الآب في (يو١٧) نجد هذه العبارة العجيبة ((أحببتهم كما أحببتني)) ما أجمل هذا إن عرفنا أنه بهذا يكون للرب شركة معنا ونحن معه وذلك في شخص كل قديس إذ يجعل من كل خاطىء قد آمن حلقة إتصال تربطه بنا ونحن به فإن قبلنا أحباؤه باسمه نكون بذلك قبلناه هو وبهذا نقاسمه فرحه. هذه هي الشركة العملية. ولا شك أن فيلمون كان يعرف بإرشاد الروح القدس وحكمته (وبقلب فائض بالشكر والممنونية للرسول) كيف يحول كلام الرسول إلى من هو أعظم منه إلى الرب يسوع الذي عليه وحده ينطبق الكلام في اسمى معانيه. ولا شك أنه ما من أحدٍ كان يستطيع أن يكتب بثقة ما كتبه الرسول هنا ما لم يكن عائشاً في ملء قوة الشركة مع الله.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ثم إن كان قد ظلمك بشيء أو لك عليه دين
فأحسب ذلك علي) (ع١٨)

أليست هذه هي عين نعمة المسيح ذاك الذي ((وضع نفسه لأجلنا فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الأخوة (١يو٣:١٦) إنه قد احتمل كل شيء لأجلنا لذلك فمن واجب العبد السالك في أثر خطوات سيده أن يضع نفسه تحت تصرف السيد. ((إن كان قد ظلمك بشيء أو لك عليه دين)) بتركه إياك أو باختلاس شيء من مالك. ولا ريب أن ما افترضه الرسول كان حقاً لأنه ما كان ممكناً للعبد أن يسافر من كولوسي إلى روما بوسائل السفر ما لم يكن قد سرق من مال سيده – فأحسب ذلك عليَّ _ أي سامح أنسيمس بالدين وأحسبه علي. هل ظلمني أخي بشيء؟ إذاً فلننظر إلى المسيح. هو قد احتمل الظلم آه لو تعلمنا هذا. كم من غيظٍ وكم من نزاع وخصام كنا نتفاداه إن الله قد قبل هذا الأخ حاسباً ذنبه على المسيح. يا لها من بركة عظمى لنفوسنا أن نرى نفس الظلم الذي وقع علينا قد احتمله سيدنا من قبلنا.

((أنا بولس كتبت بيدي. أنا أوفي. حتى لا أقول أنك
مديون لي بنفسك أيضاً)) (ع١٩)

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يالغنى نعمة سيدنا أن العبد لا يمكن أن يتعهد بأكثر مما فعله سيده. ولا شك أن بولس كان يقول هذا القول على أساس معرفته اليقينية بطرق سيده. إن كان لنا دين على أخ فياليتنا لا ننتزعه منه إنتزاعاً. إن سيدنا تبارك اسمه قد كتب بيده هو يوفي ((لماذا لا تظلمون بالحري لماذا لا تسلبون؟)) ولنتأكد أنه لن يكون خاسراً من يترك شيئاً من أجل خاطر الرب. ويا له من إلتزام مزدوج للنعمة قد صار فيلمون تحته فهو مديون لنعمة الرب ومديون لنعمة خادم الرب. لا شك أن هذا قاده إلى الموافقة بفرح. ولا شك أن بولس في تعهده كان معتمداً على ما في فيلمون من عنصر الخير حاسباً أن له فكر المسيح مشتاقاً أن يرى هذا الفكر بارزاً بصورة عملية. ونحن كذلك يجب أن ندرب أنفسنا على حسبان هذا الفكر في أحدنا الآخر مقدمين الفرصة لأخوتنا لإظهاره عملياً. إن أنسيمس لم يكن لذاته بل كان لسيده. وفيلمون لم يكن لذاته بل كان لبولس وللمسيح ولكن الرب وخادمه الذي يعرف طرقه لم يرد أن تجيء موافقة فيلمون على أساس هذا المبدأ. ويال ه من درس جديد يتعلمه فيلمون. فمع أن الرب له كل الحق أن يطلب منا ما يريده لأننا ((لسنا لذواتنا)) إلا أن فرحه وسرور قلبه أن يوقفنا موقف النعمة لكي يكون تصرفنا مرضياً له.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

((كتبت بيدي)) لم يكن من عادة الرسول أن يكتب بيده بل كان يستخدم من يكتب عنه (رو١٦: ٢٢) ولا ريب في أنه قصد أن يؤكد لفيلمون بخط يده أنه كان مستعداً أن يرد له كل ما أختلسه أنسيمس من ماله إذا أراد ذلك ((مديون لي بنفسك)) ذكره بما له عليه من الدين الروحي العظيم لما فعله من إطلاقه من عبودية الخطيئة والشيطان وقيادته إياه إلى معرفة المخلص. وهذا دين يعجز عن إيفائه وفي ذلك تلميح إلى فيلمون يُسر بهذه الفرصة للأقرار بالدين بإجابته لطلبته.

(نعم أيها الأخ لي فرح بك في الرب أرح أحشائي في الرب) (ع٢٠)

هاهو بولس قد أوقف فيلمون موقف النعمة ثم بعد ذلك يقول له ((نعم أيها الأخ ليكن لي فرح بك في الرب)) وكيف نفرح بالرب ما لم يكن الرب شريك هذا الفرح؟ إن الرب له المجد يتلذذ برؤية ثمر نعمته لذلك هو لا يفرض علينا شيئاً. ولا يريد أبداً أن يأخذ شيئاً على سبيل الإضطرار كذلك بولس كان يشتاق أن يرى أحشاؤه أي عواطفه الداخلية العميقة مستريحة ((أرح أحشائي في الرب)) كما استراحت أحشاء القديسين (ع٧) من قبل بإيمان ومحبة فيلمون. حقاً كم كان جميلاً لنفوسنا إذا تفكرنا أكثر في أحشاء

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ربنا يسوع أي في عمق عواطفه عندئذ كنا نعرف بسهولة ما هو مرضي أمامه. وما هو مسر لنفسه. إنه من الأمور العجيبة حقاً أن لا يوجد شيء في هذا العالم يستطيع أن يجد فيه مسرته. ولكن من هناك من قلوب قديسيه تتصاعد رائحة السرور ذبيحة مقبولة مرضية لله (في٤:١٨) ليكن لي فرحٌ بك في الرب إذا فعلت ما طلبت إليك في شأن أنسيمس. لأن الرسول يحسب أن استجابة فيلمون لطلبته هي نعمة من الرب فوق أنها معروف منه. لأن نعمة الرب كانت الواسطة في عطف قلب فيلمون لقبول إلتماسه.

((أرح أحشائي في الرب)) أجعل قلبي يمتلىء بالفرح. وبهذا أظهر الرسول شدة محبته لأنسيمس وثقته في قلب فيلمون. وما أجمل أن يمتلىء قلب الرسول بالفرح وتستريح عواطفه في الرب في قبول فيلمون لأنسيمس.

(إذ أنا واثق بإطاعتك كتبت إليك عالماً أنك تفعل أيضاً أكثر مما أقول) (ع٢١)

في (ع٩) طلب الرسول العفو عن أنسيمس ((من أجل المحبة)) متنازلاً عن كل ما يحق له على فيلمون, باعتبار كونه رسولاً. وأما هنا في (ع٢١) فقد

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أظهر تأكده من أن إعتبار فيلمون إياه رسولاً وأباً محبوباً له يحمله على الطاعة له في ذلك الأمر.

((إذ أنا واثق بإطاعتك كتبت إليك)) نعم إن الله يعرف ما في الإنسان وهو يعرف كذلك ما هي الطبيعة الجديدة التي أودعها في المؤمنين إنها طبيعته والله لا يتعامل إلا مع الطبيعة الجديدة المعطاة منه. إنه لا يثق في الجسد إطلاقاً, أي نعم إنه طرحه جانباً ودانه في الصليب. ولكنه ينتظر الطاعة من الطبيعة الجديدة التي تستطيع أن تطيع الله وترضيه. وهذا ما حسبه الرسول واعتمد عليه.

((عالماً أنك تفعل أيضاً أكثر مما أقول)) إن إلهنا إله كل نعمة قد فعل أكثر مما كنا نطلب أو نفتكر, وهو يضعنا في موضع النعمة لكي نظهرها ونتصرف بموجبها في الوقت الذي له كل الحق أن يطلب كل شيء كالسيد المطلق السلطان. إن طاعة المؤمن لا يمكن أن تكون بأوامر محددة كطاعة العبد لأن من ذا الذي يضع قيوداً للمحبة؟ إننا ((مقبولين في المحبوب)) ((مقدسون للطاعة)) والنعمة تقودنا دائماً إلى أبعد من مجرد تنفيذ الطلب المعين المفروض علينا. فالرسول قد أخبر فيلمون بما يليق ثم يعطيه الفرصة بعد ذلك

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لتدريب نفسه وضميره أمام الله لكي يذهب بطاعته إلى ما هو أبعد من مجـــرد تنفيذ الطلب المطلوب منه إلى إظهار نعمة الرب الحقيقية.

هذا هو طريق الرب إنه لا يعاملنا كعبيد بل يعطينا مجالاً لعمل النعمة. فلن تكون هناك إراحة لأحشائه برؤية مجرد طاعة جبرية لأمر واضح صـــريح. ولكنه يتلذذ حقاً برؤية ثمر وحدتنا معه ظاهر فينا. ونحن هنا على الأرض وكل يوم يهيء لنا الفرصة لإظهار النعمة على هذا الوجه.

في دائرة الكنيسة نتعلم دروس النعمة, إذ لا يستطيع عضواً في الجـــسد أن ينفرد بذاته ويدعي إستقلالاً بذاته, وهذا يتطلب إنكار الذات وتـــضحيتها لأجل الآخرين إن الدوافع مصدرها الرأس الذي هو في السماء وهو المعلم وهو الدرس الذي نتعلمه أيضاً (أف٤: ٢١،٢٠).

*****

يتضح من القول ((إنك تفعل أيضاً أكثر مما أقول)) أن بـــولس كـــان يمتدح فيلمون لسمو حياته وثقة الرسول فيه بأنه سيعمل إكراماً لأجلـــه علـــى إطلاق أنسيمس حراً أو إعادته إلى رومية ليخدم الرسول. وفي الواقع أنه لـــو لم

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يكن فيلمون قد قبل أنسيمس, ما كانت لهذه الرسالة هذه القيمة الثمينة وما كانت قد وصلت إلينا في كلمة الله الموحى به.

(مع هذا أعدد لي أيضاً منزلاً لأني أرجو أنني بصلواتكم سأوهب لكم) (ع٢٢)

في (٨ــ٢١) كتب الرسول مايتعلق بأنسيمس أما هنا فيقول ومع هذا أي فوق طلبي بما يختص بأنسيمس, أعدد لي أيضاً منزلاً. كان فيلمون معتاداً أن يحسن إلى القديسين (ع٥) فطلب إليه الرسول أن يعد له مكاناً في بيته ليتزل عنده كضيف. ولا شك أن هذا الخبر جعل فيلمون مسروراً وذلك بسبب محبته للرسول ((لأني أرجو)) كأن الرسول يأمل أملاً شديداً لشواهد رآها تؤكد له إطلاق سراحه من السجن بعد قليل كما يظهر من قوله ((واثق بالرب أني أنا أيضاً سأتي إليكم سريعاً)) (في٢:٢٤) وهذا يدل على إطلاقه في الحال وأن يمر بفليبي وهو ذاهب إلى كولوسي. وقال ((بصلواتكم)) لأن الكنيسة إعتادت من بدء تكوينها أن تصلي إلى الله لأجل قديسيه. ولاسيما خدامه الذين يجتازون في التجارب كما قيل ((فكان بطرس محروساً في السجن وأما الكنيسة فكانت تصير منها صلاة بلجاجة إلى الله من أجله)) (أع١٢:٥). كما يحرض

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

العبرانيين بالقول ((اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم, والمذلين كأنكم أنتم أيضاً في الجسد)) (عب١٣:٣) أنظر أيضاً (٢كو١:١١).

((**سأوهب لكم**)) أي أنه يثق أن رجوعه إليهم هو هبة من الله. فإن الله سوف يحمل نيرون على إطلاقه إجابة لصلواتهم. وقد أنبأ وأعلم فيلمون بذلك لأنه يعلم أنه يسر بهذه الأخبار السارة ولأن بولس علم أن بذلك لابد من أن يحمل فيلمون على إجابة طلبه من جهة أنسيمس.

(يسلم عليك إبفراس المأسور معي في المسيح يسوع) (ع٢٣)

أشار الرسول إلى أبفراس في رسالة كولوسي (ص١:٧ , ٤:١٢) كخادم أمين للمسيح وكرجل صلاة . مجاهد كل حين لأجل القديسين لكي يثبتوا كاملين وممتلئين في كل مشيئة الله. أليس لنا الحق أن نستنتج أن الشركة مع الرب نفسه ومع خادمه الأمين هي التي قادت أبفراس لأن يؤدي تلك الخدمة المباركة لكنيسة كولوسي. لا شك أنه على قدر ما تكون لنا شركة نحن المؤمنين بعضنا ببعض تكون لنا خدمة جميلة من خدمة أبفراس وتعب محبته.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ونحن نثق جميعاً أن الكنيسة لم تكن في يوم من الأيام محتاجة إلى أمثال أبفـــراس كحاجتها إليهم في الوقت الحاضر. هنا يذكر الرسول أبفراس باعتباره المأســـور معه في المسيح يسوع ولا نعلم هل كان ذلك باختياره أم قبض عليه وألقـــي في السجن مع بولس.

((ومرقس وأرسترخس وديماس ولوقا العاملون معي)) (ع٢٤)

هؤلاء الخدام المذكورين هنا هم رفقاء الرسول في جهـــاده والـــروح القدس يُسر أن يضع اسماؤهم كالعاملين مع الرسول في حقل الرب. ومـــرقس المذكور هنا هو ابن أخت برنابا الذي رافق الرسول بولس وبرنابا في رحلتهما التبشيرية الأولى ولكنه ضعف في الطريق ورجع من برجة بمفيليـــة (أع١٣:١٣) ورجع إلى بيته في أورشليم مفضلاً الراحة على مشقات الخدمة. ولكننا نـــشكر الله لأنه عاد إلى الخدمة مرى أخرى. ويوصي الرسول الأخـــوة في كولوســـي بالقول ((ومرقس ابن أخت برنابا الذي أخذتم لأجله وصايا إن أتـــى إلـــيكم فإقبلوه)) (كو٤:٢١) وفي ختام جهاد الرسول يكتب إلى تيموثاوس قائلاً ((خذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع لي للخدمة)) (٢تي٤:١١) وهكـــذا تفاضـــلت

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نعمة الله إذ جعلت الشخص الذي إختبر الفشل في الخدمة نافعاً. كما جعلت من هذا الخادم الذي فشل مرة في الخدمة أن يكتب إنجيله عن الخادم الكامل الذي لا يفشل قط أي الرب يسوع الخادم الحقيقي الذي قال ((لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين)) (مر١٠: ٤٥).

((أرسترخس)) نقرأ عنه في (أعمال١٩) أنه كان مكدونياً مرافقاً الرسول بولس في رحلته وخاطر بحياته من أجل الإنجيل في الثورة التي حدثت في أفسس ضد الرسول بولس.

((ديماس)) يذكر اسمه هنا قبل اسم لوقا الطبيب الحبيب وأما في رسالة كولوسي فيقول الرسول ((يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس)) ولا يذكر أي كلمة مدح عن ديماس الأمر الذي لم يكن من عادة الرسول. ثم في (٢تي٤) يقول عنه لتيموثاوس ((ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر)) وهكذا وصل ديماس إلى نهاية إنحداره. ليحفظنا الرب من الضعف الذي يؤدي للإنحدار إلى العالم الذي قد انفصلنا عنه.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

((لوقا)) كان خادماً للمسيح وآنية من أواني الوحي واتحد مع الرسول بولس في ترواس وأصبح أحد رفقائه, ويشار إلى ذلك في (أع١٦) ولنلاحظ أن لوقا يستخدم ضمير المتكلم بدلاً من ضمير الغائب لأنه أصبح في رفقة الرسول وكان من أكثر المعاونين له, وظل معه إلى النهاية كما يذكر الرسول ذلك لتيموثاوس ((لوقا وحده معي)) (٢تي٤:١١).

هنا في الرسالة إلى فيلمون مع ما كتب عنهم في الرسالة إلى الأخوة في كولوسي نستطيع أن نستنتج أن هذه الرسالة قد كتبت مع رسالة كولوسي أو بعده بوقت قصير. وسلمت الرسالتين إلى أيدي حامليها لتوصيلها أثناء وجود الرسول في سجن رومية.

نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم آمين) (ع٢٥)

نعمة ربنا يسوع المسيح يمكن تعلمها من أوجه ممارستها العديدة تجاه عائلة الله الخاصة. فالنعمة المعطاة لبولس بقوة الشركة مع المسيح كانت تظهر عملياً في عنايته المستديمة بكل الكنائس ولكي يشجع ابنه في الإيمان حتى لا يفشل تحت ضغط الشرور الكثيرة المحيطة به في الأيام الأخيرة يقول له ((أما أنت يا ابني فتقوا بالنعمة التي في المسيح يسوع)) (٢تي٢:١).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فالنعمة هي التي يرددها الرسول لفيلمون وأبفية وأرخبس والكنيسة التي في بيت فيلمون في البداية وفي الختام طالباً أن ترافق روحهم. وهكذا يختم الرسول هذه الرسالة كباقي رسائله طالباً للقديسين نعمة ربنا يسوع المسيح. آمين.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.